بسم الله الرحمن الرحيم

الإِيجَابِيَّةُ فِي الكَسْبِ وَالإِنْفَاقِ

الحَمْدُ للهِ عَظِيمِ الجُودِ وَوَاسِعِ العَطَاءِ، المَرْجُوِّ لِكَشْفِ الشَّدَائِدِ وَالبَلاءِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يُعْطِي السَّائِلِينَ، وَيُبَارِكُ جُهْدَ العَامِلِينَ، وَلا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الأَمِينُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي – عِبَادَ اللهِ – بِتَقْوَى اللهِ، وَالعَمَلِ بِمَا فِيهِ رِضَاهُ، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا، وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾[1]، وَاعلَمُوا – رَحِمَكُمُ اللهُ – أَنَّ الإِسْلامَ دِينُ الإِيجَابِيَّةِ، يَطْلُبُ مِنَ المُسلِمِ تَقْدِيمَ الخَيْرِ لِنَفْسِهِ وَأُسْرَتِهِ وَمُجتَمَعِهِ بِالعَمَلِ وَالاجتِهَادِ، وَيَذُمُّ القُعُودَ عَنِ العَمَلِ، بَلْ يُنْكِرُ عَلَى مَنْ يَدَعُ العَمَلَ بِزَعْمِ التَّفَرُّغِ لِلْعِبَادَةِ، فَقَدِ امتَدَحَ نَفَرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَجُلاً مِنْهُمْ، بِأَنَّهُ يُصَلِّي حَتَّى يَرتَحِلُوا، وَإِذَا ارتَحَلُوا لَمْ يَزَلْ يَقْرَأُ وَيَذْكُرُ حَتَّى يَنْزِلُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((أَيُّكُمْ كَانَ يَكْفِيهِ عَلَفَ نَاقَتِهِ وَصُنْعَ طَعَامِهِ؟ قَالُوا: كُلُّنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: كُلُّكُمْ خَيْرٌ مِنْهُ))، وَرَأَى عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَوْمًا قَابِعِينَ فِي رُكْنِ المَسْجِدِ بَعْدَ صَلاةِ الجُمُعَةِ، فَسَأَلَهُمْ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ المُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللهِ، فَنَهَرَهُمْ، وَقَالَ: لا يَقْعُدَنَّ أَحَدُكُمْ عَنْ طَلَبِ الرِّزْقِ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ ارزُقْنِي، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ السَّمَاءَ لا تُمْطِرُ ذَهَبًا وَلا فِضَّةً، وَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2]، وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ شَأْنِ المُسلِمِ – يَا عِبَادَ اللهِ – أَلاَّ يَلْجَأَ إِلَى السُّؤَالِ لِيَأْخُذَ

---

(١) سورة الطلاق / ٢-٣ .

(٢) سورة الجمعة / ١٠ .

مَا عِنْدَ النَّاسِ، بَلْ يَجْعَلُ العَمَلَ وَسِيلَتَهُ فِي ذَلِكَ، قَالَ ﷺ : ((وَاللهِ لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلاً فَيَحْتَطِبَ، يَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلاً قَدْ أَغْنَاهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ)).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ المُسلِمَ الحَقَّ إِذا وَاجَهَتْهُ صُعوبَةٌ فِي حَياتِهِ؛ وَاجَهَهَا بِمَا وَهَبَهُ اللهُ مِنْ طَاقاتِهِ وقُدراتِهِ، قَدْ رَبَّاهُ الإِسلاَمُ عَلَى التَّشمِيرِ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ، مُتَعَفِّفًا عَمَّا فِي أَيْدِي الآخَرِينَ، بَلْ يَسْعَى ويَطْلُبُ التَّوفِيقَ مِنْ رَبِّ العالَمِينَ، قَالَ تَعالَى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[1]، فإِذا كَانَ هَذا الشَّأْنَ فِيمَنْ لاَ يَستَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرضِ، فَكَيفَ بِمَنْ أَجسادُهُم تَفُورُ قُوّةً وشَبابًا؟ عَلَى أَنَّ القُوّةَ وَحْدَها لا تَكْفِي لِتَحقِيقِ الهَدَفِ، بَلْ لاَ بُدَّ لَها مِنْ حُسْنِ تَدْبِيرٍ، يَضَعُ فِي الحُسْبانِ ظُروفَ الزَّمانِ والمَكانِ، وهوَ ما كَانَ سَلَفُ هَذِهِ الأُمَّةِ يُوَاجِهُ بِهِ الأَزَماتِ، ويَتَغَلَّبُ بِهِ عَلَى الصُّعُوباتِ، فَهُمْ يَحْسُبونَ لِلأُمورِ حِسابَها المُناسِبَ، ويَستَغِلُّونَ الظُّروفَ لِتَحقِيقِ أَعلَى المَكاسِبِ، فَلاَ يُبْطِرُهُمُ الغِنَى ولاَ يُجْزِعُهُمُ الفَقْرُ، قَالَ تَعالَى فِي وَصفِهِم: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[2]، إِنَّ مِنْ وَاجِبِ المُسلِمِ أَنْ يُحْسِنَ تَدْبِيرَ حَياتِهِ؛ وأَنْ يَحْمِلَ عَلَى ذَلِكَ أُسْرَتَهُ، فَبِصَلاحِ الأُسَرِ تَصلُحُ المُجتَمعاتُ، وإِنَّ مِنْ أَهَمِّ أُسُسِ التَّدبِيرِ نَشْرَ ثَقَافَةِ الادِّخَارِ، وفِي هَذَا يُرْشِدُ الرَّسُولُ ﷺ قَائِلاً: ((إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ))، ويَقُولُ – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ –: ((كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))، فَمِنْ وَاجِبِ وَلِيِّ الأُسْرَةِ وَالمُجتَمَعِ بِأَسْرِهِ العَمَلُ

(١) سورة البقرة / ٢٧٣ .

(٢) سورة الفرقان / ٦٧ .

عَلَى غَرْسِ مَفَاهِيمِ الاقْتِصَادِ، وَوَضْعِ مَشْرُوعَاتٍ صَغِيرَةٍ كَفِيلَةٍ بِجَعْلِ الأُسْرَةِ مُستَغْنِيَةً عَفِيفَةً، مُنْتِجَةً لا مُستَهْلِكَةً، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: ((اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى)).

أَيُّها المُؤمِنونَ:

إِنَّ مِمَّا نَأْسَفُ لَهُ أَنْ يَفْتَحَ بَعْضُ النَّاسِ بَابَ الإِستِدَانَةِ عَلَى أَنفُسِهِمْ فِي كُلِّ صَغِيْرَةٍ وَكَبِيْرَةٍ يَشْتَهُونَهَا مِنْ مَتَاعِ الدُّنيَا، فَتَرَاهُمْ يَتَوَسَّعُونَ فِي اقْتِنَاءِ مَا لَيْسُوا بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، مَهْمَا ارتَفَعَ ثَمَنُهُ وَغَلاَ سِعْرُهُ، وَيُحَمِّلُونَ أَنفُسَهُمْ فِي سَبِيْلِ الْحُصُولِ عَلَيْهِ فَوْقَ مَا يُطِيْقُونَ، مُبَاهَاةً لِلأَغْنِيَاءِ، أَو تَقْلِيدًا لِغَيْرِهِمْ، حَتَّى يُؤَدِيَ بِهِمُ الأَمْرُ إِلَى الغَرَقِ فِي بِحَارِ الدُّيُونِ، وَالعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَحْرِصُ عَلَى سَلاَمَتِهِ مِنْ حُقُوقِ العِبَادِ، فَلا يَلْجَأُ إِلَى الدَّيْنِ لأَنَّهُ هَمٌّ بِاللَّيْلِ وَذُلٌّ بِالنَّهَارِ، وَقَدْ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى الكَذِبِ وَاخْتِلاَقِ الأَعْذَارِ، وَلِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَثِيرًا مَا يَسْتَعِيْذُ بِاللهِ مِنَ الدَّيْنِ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَتَرَفَّقُوا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَابْتَعِدُوا عَنِ الإِسْرَافِ وَالبَذَخِ، فَإِنَّهَا سَبَبُ زَوَالِ النِّعَمِ وَحُلُولِ النِّقَمِ، وَلْنَكُنْ عَلَى مَنْهَجِ الادِّخَارِ المَحْمُودِ لَنَا وَلِلأَجْيَالِ الَّتِي تَأْتِي مِنْ بَعْدِنَا.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، أَنْعَمَ عَلَى البَشَرِ بِالخَيْرِ العَمِيمِ، ثُمَّ نَبَّهَهُمْ بِقَولِهِ: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[1]، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ البَشِيرُ النَّذِيْرُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِيْنَ سَلَكُوا طُرُقَ الاعْتِدَالِ وَالتَّيْسِيرِ.

(١) سورة التكاثر/ ٨ .

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ الدَّيْنَ مَهْمَا قَلَّ فَهُوَ هَمٌّ ثَقِيلٌ عَلَى النَّفْسِ، يُشْغِلُ ذِهْنَ صَاحِبِهِ، وَيُقْلِقُ بَالَهُ، وَيَصْرِفُهُ عَنِ النَّشَاطِ فِي عَمَلِهِ، فَأَثَرُهُ عَلَى الفَرْدِ ظَاهِرٌ، وَكُلَّمَا فَشَا بَيْنَ النَّاسِ أَضْعَفَ نَشَاطَهُمْ، فَيَعُودُ أَثَرُ ذَلِكَ عَلَى مُجْتَمَعِهِمْ بِالفَشَلِ وَالكَسَلِ، لِذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الوُقُوعَ فِي الدَّيْنِ بِأَنْ يَدَّخِرَ مِنْ مَالِهِ وَلَوِ شَيئًا يَسِيرًا، وَلْيَعْتَدِلْ إِذَا مَا أَنفَقَ فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ وَأَخْذِهِ وَعَطَائِهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَجِدَّ فِي عَمَلِهِ، وَيَسْعَى لِتَنْوِيعِ مَصَادِرِ دَخْلِهِ فَلاَ يَكْتَفِي بِمَا يُحَصِّلُهُ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَفْتَتِحَ أَبْوَابَ الرِّزْقِ الحَلاَلِ فِي جِهَاتٍ أُخْرَى، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[1]، وَكَمْ نُسَرُّ إِذْ نَرَى شَبَابًا أَتْقَنُوا أَكْثَرَ مِنْ مِهْنَةٍ، وَخَبَرُوا أَكْثَرَ مِنْ حِرْفَةٍ، وَشَمَّرُوا عَنْ سَوَاعِدِ الْجِدِّ هِمَّةً وَعَمَلاً فِي سَبِيلِ حَيَاةٍ أَفْضَلَ وَمُسْتَقْبَلٍ أَجْمَلَ، وَلَنْ يُعْدَمُوا بِذَلِكَ البُعْدَ عَنْ هَمِّ الدُّيُونِ وَمَذَلَّتِهَا.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَاعْمَلُوا جَاهِدِيْنَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ جَمِيْعِ الدُّيُونِ، فَمَا عَلَيْكُمْ مِنْ دَيْنٍ للهِ فَأَدُّوهُ، وَمَا عَلَيكُمْ مِنْ دَيْنٍ لِلْعِبَادِ فَاقْضُوهُ، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[3].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ،

---

(١) سورة الملك / ١٥ .

(٢) سورة التوبة / ١٠٥ .

(٣) سورة الأحزاب / ٥٦ .

وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عِينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.